مع إبراهيم بن أدهم :

ـ قيل للزَّاهد العالم (إبراهيم بن أدهم) رحمه الله : بِمَ وجدت الزُّهد ؟

قال : بثلاثة أشياء :

١ـ رأيتُ القبر موحشاً وليس معي مؤنس!

٢ـ ورأيتُ طريقاً واحداً وليس معي زاد!

٣ـ ورأيتُ الجبَّار قاضياً وليس معي حُجَّة!

ـ وقال مرة :

طوبى لمن كان عقله أميراً ، وهواه أسيراً ، وويلٌ لمن كان هواه أميراً ، وعقله أسيراً .

ـ ويُحكى عن (إبراهيم بن أدهم)[1] أنه كان يسير إلى بيت الله ، فإذا أعرابي على ناقة فقال له : يا شيخ إلى أين ؟

فقال إبراهيم : إلى بيت الله الحرام .

قال الأعرابي : كأنَّك مجنون ، لا أرى لك زاداً ولا مركباً ، والسفر طويل!!

فقال إبراهيم : إن لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها!!

---

(١) إبراهيم بن أدهم (. . . ـ١٦١ هـ) التميمي البلخي ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور ، كان أبوه موسراً فتفقَّه ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، مات والده وخلَّف مالاً عظيماً ، فلم يعبأ بكلِّ ذلك وظلَّ على زهده ، وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته من شدَّة زهده وتدريب نفسه . . .

قال الأعرابي : وما هي ؟

قال : إذا نزلت عليَّ نعمةٌ ركبتُ مركب الشُّكر ، وإذا نزلت عليَّ بلِيَّة ركبتُ مركب الصبر ، وإذا نزل بي القضاء ركبتُ مركب الرِّضا ، وإذا دعتني النفس إلى شيء ذكرتُ أن ما بقي من العمر أقلُّ مما مضى .

قال الأعرابي : سر بإذن الله ، فأنتَ الرَّاكبُ وأنا الرَّاجل!!

* * *

لو رأى الحسن حالنا اليوم فماذا كان يقول ؟؟

قيل للإمام (الحسن البصري) رحمه الله : ما يُبكيك ؟

فقال : كيف لا أبكي ؟ ولو دخل علينا من باب المسجد أحد أصحاب رسول الله ﷺ لما عرف غير قبلتنا هذه! ثم قال : هيهات هيهات ، أهلك الناس الأماني قول بلا عمل ، ومعرفة بلا صبر ، وإيمان بلا يقين ، ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، دخل القوم والله ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحزَّموا ثم استحلُّوا ، إنَّما دين أحدكم لعقة على لسانه ، إذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم! كذب ومالك يوم الدين ، أين من أخلاق المؤمن : قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وعلماً في حلم ، وحلماً بعلم ، وكيِّساً في رفق ، وتجمُّلاً في فاقة ، وقصداً في غِنى ، وشفقة في نفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاءً في الحقوق ، وإنصافاً في استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم في مساعدة من يحب ، ولا يهمز ولا يغمز ولا يلغو ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يمشي بالنميمة ، ولا يتتبَّع ما ليس له ، ولا يجحد الحقَّ الذي عليه ، ولا يتجاوز في الغدر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلَّت بغيره ، ولا يُسَرُّ بالمعصية إذا نزلت بسواه .